د . صفاء خلوصي

وجبة ديك برّي

طائر جميل ذهبي اللون ، طويل الذيل كذيل الطاووس يعرف هنا بالفيزانت Pheasant أقرب ما يكون الى الدراج عندنا ولكن اكبر حجما ولحمه أحمر لا كلحم سائر الطيور البيضاء ، يظهر في الاسواق في أوائل تشرين الثاني (نوفمبر) فتراه معلقا في مداخل حوانيت باعة الاسماك زاهيا برشه البني المزدان بالبقع الذهبية، غير ان العجيب الغريب ان القوم لا يأكلونه هنا الا اذا بلغ درجة من التفسخ واخذت رائحته الكريهة تزكم الانوف .

ولقد رأيته قبل أعوام واعوام يوم زرت هذه البلاد لاول مرة ، فكنت اتجنب الرصيف الذي يباع فيه فاسلك سبيل الرصيف المقابل تحاشيا لرائحته ، وقد بالغ القوم في وصف لذة لحمه ، ولا سيما اذا بلغت نتانته الحد الذي يسمونه « النضج » ، وقالوا : انه أشهى ما يكون مع النبيذ وفي أيام العطلات الرخية الهانئة ، وفي مجالس الاحباب .

ومضت أعوام نربو على العشرين فارفت خلالها هذه البلاد ، ثم عدت اليها من جديد ، واقبل شهر تشرين الثاني ، وظهر الطائر العجيب معلقا في واجهة حوانيت « باعة الاسماك » ، لان رائحته الكريهة مقبولة عند السماكين اكثر من الجزارين .

والقيت نظرة عليه من جديد ، وقلت في نفسي : « لا يمكن أن يكون هؤلاء الناس جميعا على ضلال .. وأنا وحدي على صواب ، فلماذا لا اجرب ولو مرة في العمر ؟ » .

وتملكت شجاعتي وتقدمت من البائع وقلت :

ـ بكم هذا الطائر البري ؟

ـ الذكر بجنيه وثمانين بنسا جديدا ، اما الانثى وهي عادة اصغر حجما ، فهي بجنيه وستين بنسا .

وضاعفت من شجاعتي وقلت : « هات الديك ! » .

فلف طائرا مجردا من الريش لا يزيد حجمه على حجم الدّراج الا قليلا وناولني ريشتين طويلتين من الذنب وقال :

« تغرزان في مؤخرته عندما ينتهي طهوه في الفرن الغازي !»

وبدا لي فقلت للبائع : « ولكن الرائحة ..»

فقاطعني قائلا :

« يؤسفني يا سيدي ألا تكون رائحته قوية كما ينبغي ، لان النماذج التي لدينا لا تزال طرية ، فلو انتظرت اسبوعا اخر لحصلت على ما تريد » .

فخجلت من أن اظهر جهلي للرجل وان ابدي مزيدا من الاعتراض على الرائحة ، فناولت المحاسبة العجوز ثمن الطائر وانه لعمري باهظ حتى بمقاييس لندن المعروفة بارتفاع الاسعار .

وعدت الى شقتي وأنا فرح بتجربتي الجديدة التي لم اقدم عليها الا بعد تردد استغرق ربع قرن .

واستقبلتني زوجتي وطفلاي باستغراب وقالوا جميعا وبصوت واحد :

« ما هذا الطائر النتن ؟ ».

قلت :

« انه الفيزانت .. الدّراج الانكليزي ، طعام الطبقة الارستوقراطية في هذا البلد » .

فسكتوا على مضض دون انتظار مزيد من الايضاح .

وشرعت بطبخه بنفسي لان الجميع اضربوا عن الاقتراب منه ، فوضعته في الفرن الغازي ... ويا ويل ما صنعت فقد اصبحت الرائحة اضعاف ما كانت عليه ، ففتحت شطري باب المطبخ المفضي الى الحديقة الفسيحة وشبابيك الغرفة المؤدية اليه ، مع ذلك فقد كانت ثمة بقية من نتانة .. وانتهت العملية وسط احتجاجات صاخبة ، واحضرت الطائر المشوي .. وغرزت الريشتين في مؤخرته كما نصحني البائع ، وانا أشعر بنشوة الانتصار على العراقيل والعقبات كافة .. وبقيت واحدة وانها لعمري اصعبها واشقها ... وهي أن أتقدم بسكيني وشوكتي لاتناول قطعة من لحم الطائر فأتبين صدق ادعاء القوم في هذي البلاد ، ولا سيما الارستوقراطيين منهم .

ودعوت ولدي وزوجتي الى هذه المغامرة .. فأما الولدان فلم يكتفيا بالاعتذار ، بل هربا الى غرفة ثانية ريثما انتهي من تجربتي الغريبة ، وبقيت زوجتي ترمقني بنظرات الاشفاق وتخشى عليّ من التسمم غير أنني أعدت عليها القول :

« لا يمكن لهذه الملايين أن تكون على خطأ ونحن وحدنا على صواب ! » فاسلمت أمرها الى الله وامسكت انفها بيد وتناولت قطعة صغيرة بيد اخرى ، ارضاء لي .

ـ كيف وجدته ؟

ـ ان طعمه كالجبن الحاد اللاذع .. انه لذيذ ، ولكني لا اقوى على تحمل رائحته .

فتقدمت بدوري وتناولت قطعة وقلت :

« انه لكما تقولين .. ولكن مهلا ، ان رائحته قد اختفت ، ويبدو انه كالبصل أو الثوم .. لا يكاد الانسان يتناولهما حتى يخف وطؤهما عليه ولكن من يا ترى كان اول من جازف فظفر بهذا الاكتشاف ؟ ».

ولم تترك لي زوجتي مجالا للاجابة اذ قالت :

« اكبر الظن انه كان احد الفقراء وقد اضطر لتناول دّراج اصطاده واحتفظ به مدة طويلة فدبت الرائحة النتنة اليه ، مع ذلك تناوله على مضض دفعا للسغب .. فاكتشف المتعة الجديدة ، واصبح الطائر النتن بعد ذلك طعاما للاغنياء ! »

اكسفورد